

الإصلاح في الإسلام

لـرستار : فيليكس فالوى

هذا المقال هو انفصل الاخير من سلسلة محاضرات ألقاها « فيليكس فالوى » فى كلية دارتموث بنيوهامشير الجديدة فى الولايات المتحدة تحت عنوان : « قوى الترقى فى الشرق » .

* *

كان الفيلسوف الألمانى « نيتشه » قد نبه الى مقدار ارتباط مصير الحضارة الأوروبية بالمسألة الآسيوية . فتكلم بلهجة تنم عن الغضب المزوج بالازدراء عن أوروبا التى هى شبه جزيرة بالنسبة للقارة الآسيوية وكيف أنها تدعى السيادة الروحية لمجرد أنها ابتدعت النظام الفنى الحديث . وفى حين لم تدرك شيئاً الى الآن من روح آسيا الذى ابتدع جميع الأفكار الدينية والفلسفية العظيمة التى تؤلف كياننا الأدبى .

وقد أيدت الحوادث منذ ذلك الوقت صدق نظر « نيتشه » وثاقب بصيرته فإن علم الاقتصاد حاول محاولة مرققة فى النزول بجميع الظواهر الاجتماعية الى جعلها مسألة أرقام ومواد انتاج وعلاقات مادية . غير أن الوجوه الأدبية والروحية للسائل الإنسانية كانت لها الغلبة العظيمة على أشياع « كارل ماركس » على اختلاف مذاهبهم وعلى أولئك الاقتصاديين الذين أبوا منذ وقت طويل أن يبالوا بأسياء، لأنها ليست ذات مصانع وهو ما يوجب فى نظرهم عدها همجية . وهما هو الغرب حين تنبه من الحكم الاشتراكى ومن العالم الكاذب بوجوه تبادل المواد قد وقف أمام المسألة الشرقية فى قالب جديد يبعث على القلق . وهى المسألة التى عرضتها للبحث فى البدء أطماع أوروبا المادية وسترتها بلاغة الكليروس من بعد ذلك بسمار المسألة الدينية وصارت فى نهاية الحرب الكبرى مسألة أدبية وروحية تتعلق رأساً بتوازن القوى التاريخية التى تحرك الإنسانية .

ولم يبلغ التاريخ بعد فى أوروبا لسوء الحظ شأوا علم الأديان ولم يرتق اليه . ولا يزال كما كان لم يتحرر من الأوهام التى تصده من أن يفكر تفكيراً « عالمياً »

بدلاً من التمدد في الغرور العنصري وهو كبير الخطر على سلام العالم والطمأنينة. وقد اعتاد المؤرخون الأوروبيون عند الكلام عن المسألة الأوروبية أن يهملوا وجوها وأصولها الآسيوية. فلم يستعد التاريخ الأوروبي شيئاً من براعة نظرهم في أمور الشرق وكمايتهم في العلم بها. وأعظم الأخطاء التي ارتكبها مشاهير مؤرخين لدى الحكم على آسيا والاسلام ونتائج السياسة الأوروبية في آسيا إنما نوضح في العبارات التالية. أن الاختصاصين في مسائل الشرق مازالوا إلى الآن من علماء اللغات الذين يقضون العمر كله تقريباً في درس نص قديم من نصوص الشعر الفارسي أو فعل غير قياسي جاء في أحد المخطوطات الشرقية. على حين يقتضى الأمر بذل المهمة في استقصاء المصادر الصحيحة لتاريخ آسيا. وهي المصادر التي تكاد تكون مجهولة في الغرب ولا تزال إلى الآن غير متداولة بين الأوروبيين الذين تتلمس الأغلبية الكبرى منهم رأيها في الشرق من العبارات الجوفاء المفتريات التي أذاعها فيما مضى رواة الأخبار والوقائع من البيزنطيين واللاتينيين وهم مفضلون في جامعات الغرب. وما نعلمه عن كاتب أغريقي قديم من الدرجة العشرين يفوق بكثير جداً ما نعلمه عن أجل المظاهرات السياسية أو الروحية في التاريخ الأسبوي

وليس من شك في أن اللاهوتيين الذين تدخاوا في المسألة الشرقية مستترين خلف «الديبلوماسية» والدوائر المالية العالية كانوا بوجه خاص ضحايا جهلهم. ولم يتناول البحث العلمي النزاهة الاسلام والشرق في أوروبا إلا في العهد الأخير. ولقد بقيت المسألة الشرقية حتى القرن التاسع عشر في عوز إلى وسائل البحث الكافية وإلى الفكر الأوروبي المتحرر من كل الاوهام الدينية. وساعدت الروايات التي بنها ذوو الأغراض من مسيحيي الشرق على تضليل المرسلين وإيقاعهم في الخطأ. وتشهد آداب الاسلام وفلسفته الدينية على التهذيب العظيم لتواعد الاخلاق والحياة الانسانية عند النخبة المفكرة على الأقل. وهي تلك النخبة التي تدعو بقوة إلى الاخاء بين الناس جميعاً بعد إذ صفت عقيدتها ورجعت إلى مبادئ الاسلام الاصلية البسيطة في سمو ونبل. ولم يكن قد بقي في نفوس خيار المسلمين

من قبل الحرب أى أثر لكره المسيحيين . ونعى بمخيار المسلمين أولئك الذين اعتادوا أن يطلبوا العلم فى جامعات الغرب وأن يأتلفوا ائتملا فؤادياً برقتائهم الغربيين فى كل مكان لا يمنع فيه الوهم المتعاق بالوان الشعوب من جلوس الاوربيين مع الشرقيين على مائدة واحدة . وقد حل محل الكراهة القديمة للمسيحية ارغبة فى الاشتراك فى العمل الفكرى الانسانى تحت لواء العلم . واذا كان المسلمون المفكرون يجحدون اليوم ارشاد الغرب الادبى، واذا كان فى العالم الاسلامى عناصر ساخطة تعرض عن النظام الاوروبى، فان انطاطاً فى ذلك واقع على أولئك الذين لم يعرفوا أن يأسروا ارادة الشباب المسلم المتحمس والمستعد للاهتداء والانتقاد لعلم الغرب .



أما الاصلاح فى الاسلام فقد بوشر فى دوائر شتى . وانما ترجع محاولات الاصلاح التى شملت الفلسفة الدينية والفقه والاخلاق الى أصحاب النظر بالعقل من المعتزلة فى القرن الحادى عشر . ومنذ ذلك الوقت لم يقف سير الاسلام فى طريق التطور . غير أن تجارب الاصلاح التى حققتها أصحاب المذاهب الاسلامية وان كانوا جد مخلصين فلم تؤت تجاربهم بنار عملية دائمة الا فيما ندر . وكانت غاية المفكرين ورؤساء الفرق الاسلامية والمرابطين (!) أو سواد المؤمنين على كثرتهم ينحصر فى تصفية العقائد الدينية وتهذيب الطباع والعمادات ورفع المستوى انما لى لبعض شعوب الشرق التى لا تزال على الفطرة . الا ان تقدم الاسلام الى الامام كان يتطلب شيئاً آخر . فان كل اصلاح انسانى يدخل على النظام الاسلامى لا يوفق الى الاخذ به فى كل أنحاء العالم الاسلامى الا اذا توفر فيه بديا شرطان جوهرىان . أولا : ألا يكون صادراً تحت ضغط أوربا . ثانياً : أن يأتى من أمة اسلامية قوية حية ومستتابة . وقد فشل أول اصلاح تركى — التنظيمات — الذى أسس تحت تأثير المبادئ الفرنسية سنة ١٨٣٩ بقانون « جولهان » لأن الاخذ به كان تحت ضغط أوربا ، وكان يقول بالتدخل الاجنبى بدلا من أن يبطله

نهائياً (١) وقتئذ ، وحاول انكليزى مستنير هو خير مؤرخ لحياة الاسلام أنجبته أوروبا ونعى به « دافيد أوركار » أن يحمل « الدبلوماسية » الأوروبية على العدول عن المذاهب الخاطئة التى تفرض على تركيا اصطلاحات تضعها وزارات خارجية لوندرا وباريس وبطرسبرج . واعترض بشدة على تطبيق القواعد الأوروبية تطبيقاً أعمى على الشرق ودعا بقوة الى المحافظة على التقاليد الاسلامية الصالحة التى امتدح حيويتها ، وأشار « أوركار » الى قبول الدولة التركية في حلقة النظام الدولى الاوروبى .

وهو مقتنع أشد الاقتناع بان النجاح فى منع التدخل الاجنبى الدائم فى شئونها يعيد تركيا عنصراً عظيم النفع فى التوازن العالمى ويجعلها تواصل بنجاح مهمتها التاريخية كمصدر لبث المبادئ الغربية فى آسيا . ولبت « أوركار » طول المدة من سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٨٦٠ ينصح بتنحى الدول الأوروبية المطلق عن التدخل فى مسألة الاصلاحات لكي يتاح تحقيق التطور التاريخى الذى تستحيل به الشعوب الاسلامية إلى دول حديثة تحقيقاً طبيعياً بالتعاون مع الاوربيين المتنورين والمطلعين على أمور الشرق الذين يختارون لكفاياتهم والذين يكونون بمنزل عن كل تدخل دبلوماسى وكل دسيسة دولية . وكانت خير نصيحة قدمها الى الدول الأوروبية هى أن تكل أمر التفكير فى الاصلاحات وتحقيقها الى الممثلين الحقيقيين لعلم الشرق والغرب بدلا من أن يكون ذلك وسيلة للمناورة فى أيدي الساسة . ولا تزال هذه النصيحة حافظة بقيمتها الى الان

وقد كان « أوركار » أول من أدرك أن المسألة التركية بالشكل الذى يطرحها به خصوم الاسلام على أوروبا إنما هي حيلة يراد منها اثارة المذايح التى يتذرع بها للاصطياد فى الماء العكر المسألة الشرقية . وقد غاب عن الدبلوماسيين أن روح المسألة إنما هو قلب العلاقات بين أوروبا وآسيا رأساً على عقب لكي يتاح لدين شريف وعناصر بشرية جليلة أن تحل المسائل الحيوية لوجودها فى حمى من الدسائس الخارجية .

(١) راجع بحثى « أوروبا فى آسيا العنرى » (الطبعة الثانية) فى مطبعة « بوكار » باريس سنة ١٩٢٢ .

على أن أولئك الذين يؤكدون أن الاسلام مستغرق في عقائده وان من العبث أن يبذل أى مجهود في سبيل تحريره من التقاليد الموروثة المناقضة لمطالب الحياة الحديثة، ينسون أن لاصحة للنظرية القائلة بجمود الاسلام وانه لم يسلم في كل عصر من هزة الحركات الفكرية في التاريخ. ويبدو في تشريع الذي يراد اصلاحه اليوم أثر القانون الروماني. وفي اتساع أحكامه الدينية نفسها أثر الفكرة الهيلينية في حين اقتبست فلسفته الآراء الأفلاطونية والهندية. وهذه الظاهرة الدالة على تأثر الاسلام بعبادىء الأمم الأخرى قد وضحتها ببراعة كبير . المشتغلين بالمسائل الاسلامية في عصرنا ولنغنى به الاستاذ جوزيهر من بودابست في دروسه المشهورة عن الاسلام. فقد برهن «جوزيهر» على أن الاسلام أظهر استعدادا للاندماج العضوى وهضم العناصر الأجنبية في كل حقب تاريخه. قال ان من الخطأ اعتبار الاسلام مسئولا عن وجود النقص الأدبية والركود الفكرى اللذين ينسبان الى الاستعدادات الجنسية والمناخ . وما يزال الاسلام من الوجهة الادبية امبراطور به عالمية جديدة بكل اهتمام المفكرين . ألا ان هناك فرقا لاحدله بين الاسلام من وجهة العقائد والاسلام من وجهة التاريخ . وجلى أن ترقى الاسلام في المستقبل يرتبط بالموقف الذى تقفه بازائه أوروبا وأميركا .

وفي أساس الاسلام يوجد المبدأ الانتخابى الذى ينص عليه «قانون الاجماع» وهو مراعاة الأغلبية للمسلمين على كل اقتراح جديد. قال «جوزيهر» : ان مبدأ الاجماع يشهد في جوهره القدرة التى تعين الاسلام على أن يتحرك بحرية وان يتطور. وان فيه لوسيلة مناسبة لكبح الطغيان والسلطة الفردية. وقد ثبت في الماضى على الأقل انه العامل الاوى في قابلية الاسلام على التكيف. فما الذى يمكن أن يثمره في المستقبل تطبيقه الموافق ؟ »

ان العقيدة الاسلامية الصافية تعتبر كل فكرة جديدة متفقة كل الاتفاق مع تعليم النبي الجوهري اذا حازت موافقة الاغلبية المسلمة. والمراد من مبدأ الاجماع « أن كل ما تتقبله الجمعية المسلمة على أنه حق وعدل ينبغى أن يعتبر حقا وعدلا . وكل ما هو حائز موافقة المسلمين المعاصرة فهو عدل ويتمتع الاعتراف بمبادئه ولا

يكون عدلاً إلا في القالب الذي يعطيه إياه الأجماع ، وما يقره الشعور العام للجماعة بأنه حجة وثقة في أمور الدين ، سواء أكان رجلاً أو كتاباً ، يكون كذلك لا بقرار تصدره هيئة من علماء الدين بل برأى عام يشبه أن يكون لا تنبيهياً بحيث يعتبر في مجوعه ، لا يجوز عليه الخطأ (١)

ولقد صار الاسلام — الذي كان في الاصل جمعية دينية صغيرة في مكة ونظاماً سياسياً فطرياً في المدينة — امبراطورية عالمية قامت في البدء على السيف مثل الامبراطورية الرومانية المقدسة ثم قامت من بعد تجزؤ الممالك العربية على الشعور السامى الذى يجعل من المسلمين أعظم اخوة انسانية في العالم . وكان محمد يرى أن سر اتحاد العناصر البشرية إنما هو شعور الجميع بالامتثال لله وتملقهم به . ويقول القرآن « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً »

ولقد بقيت هذه المبادئ النبيلة زمناً طويلاً تعترض العادات الموروثة للشعوب التي اتبعت محمداً وصار الاسلام دين الاقطاع لمجرد أن النظام الاقطاعى كان يسود الشرق كما كان يسود أوروبا وجعل أصحاب الاراضى في الاسلام يوفقون بين الدين والاحتياجات المنطبقة على مصلحتهم .

وكان من تأثيرات استخدام المجوس لعهد الخلفاء العباسيين من بعد سقوط بنى أمية الذى نسب اليهم التطرف في العادات الدنيوية ان فرضت على الاسلام مبادئ الحكم الاوتوقراطى (١)

وينبغى أن تنحصر مهمة مصلحى الشرق في تحرير الاسلام من عبودية الروح اللاهوتية المحافظة

وفرضت على الاسلام مبادئ الحكم الاوتوقراطى بتأثير استخدام المجوس لعهد بنى العباس الذين تولوا الخلافة بعد سقوط الامويين المتهمين في التاريخ بالعادات الدنيوية المتطرفة (٢)

(١) راجع كتاب « قواعد الاسلام » تأليف جولزهر (الطبعة الفرنسية) .

(٢) مكس فيبر

وَأنا ينبغي أن يكون تحرير الإسلام من عبودية الروح اللاهوتية المحافظة وقيادته إلى العالم عن طريق التربية هو كل ما تشمله مهمة المصلحين في الشرق، وأن ينحصر مبدأ أولئك الذين يتحملون مسئولية السياسة الشرقية في أوروبا وأمريكا في ألا يشجعوا معارضة الدينين وألا ينقادوا للحزب الديني المتشدد. ويكاد يكون الإسلام قد تجاوز الطور اللاهوتي في ترقيه ولا يزال يحتاج إلى تغييرات اجتماعية واقتصادية كثيرة لكي يؤسس أو يعيد تطور التعاليم الإسلامية الصحيحة التي وضعها محمد. دين المساواة بين جميع الناس.

وليس في روح الإسلام الصحيحة ما لا يستطيع الأوروبي المذهب أن يقبله. وهو ما برهن عليه السيد أمير علي — من أكبر علماء المسلمين الأحياء — ببراعة تامة. هذا المفكر الجليل الذي اجتمع له أكثر من أي مفكر معاصر آخر عالم الشرق التاريخي وعلم الغرب، قد نشر طبعة جديدة من كتابه عن الإسلام وأضاف إليها فصلاً جديداً ذا صبغة حاضرة. وقد صور فيه تصويراً صادقاً مؤثراً الكفاح الدائر بين مبادئ الترقى ومبادئ المحافظة وذوى الجود. ذلك الكفاح الذي هز الإسلام من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر والذي انتهى بنفوز التقاليد برغم تعاليم الرسول الأصلية (١)

ويستخلص من بيان السيد أمير علي الذي بسط بأوضح طريقة أن القرن العاشر كان عصر المأساة الكبرى لأوروبا وآسيا. ولا يزال يبدو لي كأشأم حقبة بالنسبة لمصائر العالم وعلى هذا الاعتبار نشأت من وقت هجرة الشعوب ونزوحها العظيم من مواطنها كل المسائل الديبلوماسية والعنصرية التي تواجهنا اليوم؟ وقد أيد السيد أمير علي هذا الرأي، ولكن في توسع غريب. وبينما كانت القارة الأوروبية قد مزقتها الشهوات المادية الناشئة عن الاحتياجات الحيوانية للعناصر التي كانت تتنافس في القرن العاشر على المراعى وأماكن الإقامة تحت المناخ الجيد الوحيد المعروف، كانت القارة الآسيوية التي غمرها الإسلام وكانت في حالة بحث فكري مسرحاً لكفاح شبيه بالكفاح الذي كان دائراً في أوروبا إلا أنه كان يضاف إليه معركة عنيفة حول مسألة الخير والشر.

(١) كتاب «روح الإسلام» للنزيل السيد أمير علي طبعة «كرستوفر» بلندن

وبينما كانت أوروبا تتقاتل على ازرق كانت آسيا المسلمة التي بلغت شأوا الحضارة السامية تشهد المراك الديني الفلسفي الذي قام حول حقيقة رسالة محمد بين المعتزلة والمحافظين من أنصار العقائد الأولى . وكان أصحاب النظر بالعقل يطلبون تأويلاً حديثاً لتعاليم الرسول ويبنون ذلك على مبدأ المسؤولية الذاتية للإنسان وحرية في الحكم بين الخير والشر وتركه يهتدى بالله من الطريق المستقيم باختياره الأدبي . وقد كثر أنصار هذه النظرية الفلسفية والدينية منذ نشأة مدرسة المدينة، إلا أنه بمقدار ما استولى الإسلام على عناصر مختلفة ذات عقلية محافظة قليلة التساهل استولت المذهبية المتشددة على تلك العناصر الجديدة وانتهى الأمر بذهب النظر بالعقل في الإسلام إلى الهزيمة التامة في نهاية أربعة قرون كفح فيها كفاح المستقبل

وقد وصف السيد أمير على الأطوار الرئيسية لهذه المأساة الفكرية الإسلامية مبرهننا بطريقة لا تقبل الجدل كيف أن العناصر المتعصبة التي دخلت في الدين الإسلامي بعقلية ورثت التشدد والمحافظة قد أخرت ترقى الإسلام الفكري . . وكان خير مفكرى الإسلام وأكبر علمائه فيما بين القرن العاشر والقرن الرابع عشر يؤيدون حرية الفكر حتى من كان منهم على مذهب المتصوف الكبير الغزالي، ويؤثرون النظر بالعقل . وكان الغزالي يكفح أصحاب النظر بالعقل من الفلاسفة وفي الوقت نفسه يستنكر التعصب ويدعو المتعصبين بأصحاب الإسلام الكاذبين وباسم الفكر الإنساني جاهد ضد جماعة « الموالى » وخدام الدين من دعاة التأخر يبراهين جليلة وأدلة حديثة عمرية . إلا أن هذا العالم الذي كان « باسكال » الإسلام ساعد دون اختياره على هزيمة قضية الترقى العلمي في الشرق كذلك استحوزت على التعليم الإسلامي الروح المدرسية المحافظة « سكولاستيك » ابتداء من القرن الرابع عشر أى في الوقت نفسه الذي كانت فيه المدرسة السكولاستيك في أوروبا في طور الاحتضار وكان العلم الحديث بخطوفه الخطوات الأولى في أوروبا . وقد افضى الكفاح الذي قام بين « أبى حنيفة » و« ابن حنبل » على سيطرة المذاهب الدينية التي جمعت بها الروح العلمية في الإسلام

تلك الروح الباهرة التي لا يزال الى اليوم موضع اعجاب الذين يدرسون العلوم
الاسلامية كالجغرافيا والطب والرياضيات التي ازهرت قرطبة واشبيلية وفي
بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة . وقد عدد السيد أمير علي الشخصيات العلمية
الكبيرة في الاسلام والمبتدعات الفكرية العظيمة للحضارة الاسلامية وهو
ما يؤيده كبار الباحثين في أوروبا . فان عالماً كاثوليكياً كبيراً في اسبانيا اهتدى
الى المصدر الاسلامي الذي استمد منه أنظم ديوان شعري في الكاثوليكية وتريد به
« الكومديا الآلهية » لدانتى . الا ان سيطرة التقاليد المصطنعة ثقلت وطأتها
على العالم الاسلامي لسوء حظ آسيا وأوروبا ومنذ عهد النهضة لم يعد يشترك في
حركة تطور العلوم . واتفق له ما اتفق لأوروبا في القرون الوسطى حين قبرت قضية
الحرية الفكرية بأزاء المبدأ الاكبري

قرونا عديدة من الجود الفكري كانت نتيجة ذلك الكفاح الذي انتهى
بمخدلان حرية الفكر في الاسلام أمام اللاهوتيين المحافظين . ومن عادة المؤرخين
الأوروبيين ومعهم فريق من رواد الفارسيين والعرب والهنود أن يلقوا مسؤولية
ذلك على عنصر كانت مزايا الحضارة صاحبة السيطرة على آسيا قروناً طويلة .
ولم يسلم السيد أمير علي نفسه من هذه العادة لاني « تاريخ العرب في الاندلس »
ولاني « روح الاسلام » . فكيف كان من الممكن أن يسلم منها علماء أوربيين
مثل المأسوف عليه ادوار . ج . برون أو الأستاذ مارجوليوت وقد فتنهم سحر
الحضارات الاوروبية العديدة فجعلوها مادة علمهم الواسع العجيب ولم يروا الا وجهاً
واحداً لملاقات الشعب الفارسي أو الشعب العربي بالعنصر الذي أسميته بالعنصر
الاكثر تعرضاً للتهمة في التاريخ .

يعزو التاريخ الى الاثر اذ دمار الحضارة الاسلامية . ولا اساس لهذه التهمة
تاريخياً وان كان بعض الوقائع يعطيها ظاهراً من الحقيقة . لانه اذا بدت تلك
الوقائع صحيحة حين تؤخذ على حدة ، كان ذلك دليلاً على انهم لم تنحصر وانما افترت
تفسيراً سيئاً . ولئن تبنى العنصر التركي التاريخي قابلية التفسير

و يؤكد البعض ان ذلك العنصر لم يبتدع ولم يعمل ولم ينتج شيئاً في غضون
سيطرته السياسية والحربية الطويلة . لكن هل يجمل ذلك البعض الاحوال
التي احتوى فيها تاريخ الاتراك مؤسسى الدول في الصين وفي الهند وفي
آسيا ؟ حقاً أن العنصر التركي لم يمتاز بأية ميزة في دائرة الفكر وعلى الأقل لم
يكن له نبوغ الابتكار .

ولكن اذا كان حق العنصر في الحياة الوطنية يرتبط بميزة الخلق في الفكر
المجرد لكان مركز بعض العناصر الهامة في أوروبا غير معين . انما يأخذ كل
عنصر دوره ووظيفته طبقاً لاستعداداته الخاصة ولا يمكن أن نلوم رجلاً عظيماً من
رجال الاعمال على أنه لم يبتدع شيئاً في الادب أو الفن . ويتدارن البعض بين
الرومانيين من الوجهة الدولية وبين العنصر الانكليزي السكوني . على
أنهم أكثر شبيهاً بالاتراك مما نظن . فإن الفكر الروماني والفكر التركي قد اتجاها
جميعاً الى العمل السياسي ولم ينظرا الى الاشياء الفنية الا من ناحية الزينة والأبهة .
وكما أن الرومانيين اقتبسوا أفكارهم من مصادر اغريقية ومصرية ووقفوا بينها
وبين احتياجاتهم والمستوى الذي بلغوه ، فإن الاتراك قد أخذوا الحضارات
الاسلامية والفارسية والعربية والهندية التي اتصلوا بها واعتنقوها . وكان الدور
الذي قاموا به ينحصر في تنظيم بلدان عديدة وحكمها كما فعل الرومانيون بالضبط
بوسائل أخرى في بيئة بشرية تختلف كل الاختلاف عن الوسط التركي الا أنهم
مثلوا ذلك الدور حيناً طويلاً بنجاح وبفضل تجريداتهم الحربية تعارفت
الحضارات الاسيوية المختلفة وامتزجت لكي تتألف منها حضارة اسلامية
موجودة الآن ولن تتم الا اذا ظهرت في آسيا الحضارة الغربية بواسطة الفرنسيين
والانكليز الذين يساعدون على نشرها بطريقة عملية فعالة ومتسعة . ولا ينقص
الاسلام غير التربية الحديثة والعلم . ينقصه ان يخلع عنه ثوب الاوهام والتقاليد
القديمية وصيغ حياته الفكرية التي اتقضى زمانها .

إن أولئك الذين يعتقدون أن الاتراك في العالم الاسلامي هم العنصر الأقل
استعداداً للإصلاح الذي يدعو اليه مع السيد أمير تلي خيار المسلمين جميعاً ، انما هم

ضحايا الاكذوبة التي تعمد اذاعتها عن الاتراك في البدء جماعة المغلوبين على
أمرهم في آسيا الايرانية ومن بعدهم أولئك الذين يطمحون منذ قرنين الى أن يكونوا
ورثاء الاتراك في دولتهم. على حين أن عقلية الاتراك العملية هي الوحيدة في
الاسلام التي تستطيع أن تعرض عن الصيغ اللاهوتية القديمة وتكون في جانب
الاصلاحات، على شريطة ألا تكون ذريعة للتدخل الاجنبي في حكومتهم. أن
التعصب التركي المزعوم إنما هو من صنع التصور الاوروبي. فليس هناك عنصر
اكثر طواعية لتعاليم التسامح الديني من الاتراك. والاسلام مثل كل دين آخر
اتخذ صيغة التعصب في كل بيئة كان الذين أسلموا فيها ذوى طبيعة متعصبة.
ألم تكن الديانة الكاثوليكية التي كانت متعصبة في أسبانيا متسامحة دائماً في الجور؟
وقد كانت في يد آل هابسبورج أداة اضطهاد ديني إلا أنها لم تتطور ببطء الا حينما
ابتدأ الفكر العام يترقى في أوربا.

وانما كان التعصب الديني في تركيا من الامور التي تنسب الى أسباب
سياسية أو اجتماعية ويندر أن تنسب الى الدين. ولنذكر دائماً ملاحظات «رنان»
عن الأسباب العنصرية للتعصب السامي.

وظاهر أن الدول الغربية تعول بوجه خاص على فتوحاتها الاقتصادية
في الشرق. إلا أنه لا قيمة كبيرة لهذه الفتوحات من الناحية العملية لانه ليس في
وسع المزايا التي تأتي على الصعيد من المبادئ الحديثة في حقوق الانسان أن تستثمر
في هدوء وطمأنينة. ولم تعد القوات الحربية تكفي لنفع القوى الروحية. ولا يمكن
أن يكون المركز الاسلامي الاقتصادي متقيداً حقاً إلا للدول التي تراعى تلك
القوى الروحية. في الشرق لا يزال يتألف من الروحي والمادي «كلاً» عضوياً.
وفي أراضى الاسلام الثروات الجوهرية في المواد الأولية وليس المحرك العظيم
للسياسة العالمية الحديثة — البترول — غزيراً إلا في الشرق. ولا بد من ترسيم
سياسة الفتوحات الادبية للوصول الى الاستحواز بصفة فعلية على موارد العالم
الاسلامي الاقتصادية لمصلحة العالم بأسره. ولن تنفض الحرب العنيفة ضد الاسلام
سواء أكانت على الورق، تقوم بها جازان اكبركية، أم في ميدان القتال بالأسلحة

الحديثة الا الى زيادة الارتباك الاقتصادى فى العالم وهدم كل سبب للنهوض .
وعلى النقيض من ذلك يكون الاعتراف برغبات الاسلام كقوة دولية ذات سلطان
ادبى وسياسى عظيم . فانه يتيح للقوى المدبرة للاقتصاد العالمى العمل فى آسيا
ولكن طبقا لمبادئ المساواة فى المعاملة ومبدأ الباب المفتوح وهما الباعث على
عظمة القرن التاسع عشر الاقتصادية

فان مبدأ الباب المفتوح هو الأداة الكبرى التى يمكن أن يحرك الولايات
المتحدة الأمريكية الى ترسيم سياسة عدالة بازاء الاسلام ونحن لانرى الى الآن
فى أمريكا أى أثر لسياسة اسلامية تنم عن الذكاء . فان المرسلين
الأمريكيين بدعائيتهم المتعصبة ضد الاسلام يضللون نظر القارئين بأعظم قوة
اقتصادية شهدتها تاريخ العالم . وليس فى وسع الولايات المتحدة فى آخر الامر
أن تعرض عن وضع برنامج لسياستها الاسلامية برغم انها لانهكم مسلمين الا فى
الفيليبين . ذلك لان مساعدتها الاقتصادية ضرورية لهيضة الشرق كما هى لازمة
لهيضة الغرب . فاذا ارتضت ألا تصنى الا لصوت الحكمة وأن تعرض عن
اتباع أولئك الذين يبذرون فى العالم بذور الاحقاد الدينية فانها لا تلبث أن تصير
محبوبة فى الشرق الاسلامى كما اتفق لها فى الصين حين تولت الدفاع عن سلامة
البلاد فحصلت على مركز اقتصادى عظيم

ان قانون الاسلام الادبى صارم فى تحريم العذر حتى بازاء غير المسلم . وهو
ما برهن عليه « جولز يهر » وان توطيد السلم فى الشرق لا يتطلب مطلقا استعمال
الطرائق الضيقة التى تتخذ ضده بنجاح لا جدوى منه انما يكفى التقرب من
الاسلام بالنية الطيبة نفسها وبالارادة الحسنة ذاتها اللتين كان يظهرهما محمد عن
طواعية نحو المسيحيين واليهود فى عصره .

أما الاعتماد فى الشرق على حزب ضد حزب آخر فانها سياسة خبيثة عقيمة
لان الوحدة الادبية للاسلام تؤيد من الوجهة الاقتصادية الاصلاح اللازم لترقى
آسيا المادى .

فهرست

ص	
٩١٣	علاقة الانسان بالله :
٩٢٥	الامواج والشاطئ : قطعة شعرية
٩٢٦	الادب العربي
٩٢٩	التصوف : بحث تحاميل انتقادي
٩٣٥	الحياة والموت : قصيدة
٩٤٥	مذكرات « أنا »
٩٥١	الصهيونية
٩٥٦	رحلة في بلاد الواقع
٩٦٠	الخطيئة . قطعة شعرية
٩٦١	النقد والتأليف : اعجاز القرآن — ٩٦٨ — تاريخ سوريا ولبنان —
٩٧٢	— جبل قاف
٩٧٩	بين الصحف والمجلات : ترجمة المصطلحات العلمية
٩٩٧	الموسيقى العربية والموسيقى الغربية
١٠٠٣	لماذا أحدث
١٠٠٦	جمعية بحث العلوم الحادثة
١٠٠٨	اختزال الكتابة باللغة العربية
١٠١٢	الدكتور صروف : مقتطفات مما قيل في حقلة تأييده
١٠٢٨	الاصلاح في الاسلام : مترجمة عن فيليكس قالوى عبد الحميد سالم

اسماعيل مظهر

حسن كامل الصيرفي

أديب

عبد اللطيف الطيباوي

جميل صدق الزهاوي

.....

عمر عنایت

حسين محمود

عبد اللطيف ثابت

عبد اللطيف ثابت

جبل قاف

بين الصحف والمجلات : ترجمة المصطلحات العلمية

منير الحسامي

بندلي البيلوفي

ط . ه . حنين

.....

جمعية بحث العلوم الحادثة

اختزال الكتابة باللغة العربية

الدكتور صروف : مقتطفات مما قيل في حقلة تأييده

الاصلاح في الاسلام : مترجمة عن فيليكس قالوى عبد الحميد سالم